فإن قيل : لماذا سمى الأول كبيراً ، والثانى صغيراً ؟

أقول : سمى الأول كبيراً لكثرة العمل فيه وهو تسكين الحرف أولا ثم إدغامه ثانيـــاً ، وسمى الثانى صغيراً لقلة العمل فيه ، وهو الإدغام فقط .

كما أن الإدغام ينقسم إلى كامل — وناقص :

فالكامل : هو أن يذهب الحرف وصفته ، مثل إدغام النون الساكنة فى الراء نحو « من ربهم » .

والناقص : هو أن يذهب الحرف وتبقى صفته مثل إدغام النون الساكنة فى الياء نحو : « من يقول » عند الجمهور .

وبما أن الإدغام ظاهرة صوتية تحدث بسبب تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، وكثيراً ما يحدث ذلك فى البيئات البدائية حيث السرعة فى نطق بعض الكلمات ، ومزج بعضها ببعض فلا يعطى الحرف حقه الصوتى من تجويد فى النطق به .

ونحن إذا ما علمنا أن البيئة العراقية قد نزح إليها العديد من القبائل التى هى أقرب إلى البداوة ممن عاشوا فى البيئة الحجازية أمكننا أن نتصور أن الإدغام كان أكثر شيوعاً فى لهجات القبائل النازحة إلى العراق ، ولعل ذلك هو الذى جعل قراء الكوفة والبصرة والشام أكثر نقلا للإدغام من قراء مكة ، والمدينة ، نظراً لأن البيئة الحجازية كانت بيئة استقرار ، وبيئة حضارة نسبياً فيها يميل الناس إلى التأنى فى النطق ، وإلى تحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها ، والله أعلم .

ظاهرة الفتح والإمالة :

إن قضية الفتح والإمالة إحدى الظواهر اللغوية التى كانت متفشية بين القبائل العربية منذ زمن بعيد قبل الإسلام .